رئيس الطائفة اليهودية بمصر في العصر الفاطمي ونظرة شكاوى والتماسات الأفراد
من واقع وثائق الجنيزة

The head of the Jews in Egypt In the Fātimid epoch And consideration of the
Complaints and Petitions of the Jews by Genizah Documents

عظية أحمد محمود القوصي
جامعة القاهرة (مصر)
agomaah@gmail.com

محمد جمعة عبد الهادي موسى*
جامعة القاهرة (مصر)
agomaah@gmail.com

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الارسال: 2023/02/04 تاريخ القبول: 2023/03/01	الغرض من هذه الدراسة هو تناول رئيس الطائفة اليهودية بمصر في العصر الفاطمي ونظرة شكاوى والتماسات اليهود من واقع وثائق الجنيزة؛ فضلا عن تناول نشأة هذا المنصب (الناجد)، وصلاحياته، ودوره المهم في المجتمع اليهودي بمصر خلال العصر الفاطمي؛ من خلال الوثائق الواردة في جنيزة القاهرة. ففي ظل حكم الفاطميين، كان مكتب رئيس اليهود بمثابة الممثل القانوني والديني الرئيسي للمجتمع اليهودي بأكمله في الحكومة، ومسؤولاً عن التذرع بمصالح كل قطاع معين من المجتمع في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وكان المكتب يشغل في الغالب أعضاء من المجتمع القرائي، وتسلط الوثائق الأولية من العصر الفاطمي الضوء على علاقة هذا المنصب بالقيادة الفاطمية. وذلك باعتماد الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي.
الكلمات المفتاحية: ✓ تاريخ اليهود ✓ العصر الفاطمي ✓ الناجد (رئيس الطائفة) ✓ وثائق الجنيزة	Abstract: The purpose of this study is to deal with the head of the Jewish community in Egypt in the Fatimid epoch and his consideration of the complaints and petitions of the Jews from the reality of the Genizah documents; In addition to dealing with the emergence of this position (the Najid), its powers, and its important role in the Jewish community in Egypt during the Fatimid epoch; Through the documents contained in the Cairo Geniza. Under the Fatimid, the office of the Chief of the Jews served as the chief legal and religious representative of the entire Jewish community in government, responsible for pleading the interests of each particular section of society. The study is based on the historical, descriptive and analytical method.
Article info Received: 04/02/2023 Accepted: 01/03/2023 Key words: ✓ the Jewish community ✓ the Fatimid epoch ✓ The Najid ✓ Genizah documents	

نالت دراسة تاريخ اليهود بمصر الإسلامية، حظاً وافراً: سياسياً واجتماعياً واقتصادياً؛ إلا أن دراسته لا تزال غير مستفيضة من خلال وثائق جنيزة القاهرة؛ فلا يزال هناك جديد فيها لم يُطرق بعد أو لم يُكشف عنه، كمثل موضوع هذا البحث، المرتبط برئيس الطائفة اليهودية بمصر خلال العصر الفاطمي، ونظرة شكاوي والتماسات اليهود من واقع وثائق الجنيزة كمثل؛ حيث لم تتناوله دراسة خاصة أو مستقلة من قبل تتفرد مادتها بهذه الوثائق؛ تتناول فيه نشأة هذا المنصب، واختيار رئيسه وألقابه، وسلطاته، ودوره الحيوي في المجتمع اليهودي بمصر خلال العصر الفاطمي، وهو العصر الذي تأسس فيه؛ رغم توافر العشرات من الوثائق الرسمية والغير رسمية التي ترتبط به ارتباطاً مباشراً في جنيزة القاهرة؛ والتي تؤكد على أنه كان الوكيل المُعتمد للخليفة الفاطمي على يهود مصر؛ فيعين من قبيل الخليفة، ويُختار من أكبر الكهنة وأعلم الأحرار؛ ثم يكون المُمثل السياسي لجميع اليهود تجاه السلطات؛ وتُصنع الأفعال عادة باسم منصبه. وتظهر أهمية هذه الدراسة المتواضعة من خلال الوقوف على جملة من الوثائق القيّمة، من وثائق جنيزة القاهرة وهي وثائق خطية كثيرة وجدت في منطقة مصر القديمة وعُرقت لعلماء الغرب في القرن التاسع عشر ووُزعت على مكتبات أوروبا وأمريكا.

وكانت هذه الوثائق محفوظة قبل اكتشافها، في حجرة خصصت للأوراق المهملة في معبد الفسطاط اليهودي ووجد بعض آخر من هذه الوثائق في جبانة البساتين القريبة من المعبد وأطلق على المجموعتين اسم وثائق جنيزة القاهرة. ويرجع تاريخ معظم هذه الوثائق التي تتكون في غالبيتها من خطابات متبادلة بين اليهود وذويهم، إلى الفترة ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين، وقليل منها يرجع إلى فترة متقدمة من القرن الرابع الهجري. ويقدر عدد الأوراق التي كانت في هذه الجنيزة بما يزيد عن الربع مليون ورقة معظمها قطع من كتب عبرية. وقد كتبت غالبية هذه الأوراق باللغة العربية بالحروف العبرية، وهي تعكس لنا الحالة الاجتماعية والاقتصادية لبلدان البحر المتوسط والشرق في تلك الفترة. وقد نُشر بعض هذه الوثائق ولكن بعضها الآخر لم ينشر حتى الآن. ووضع المستشرق اليهودي الألماني جويتين مفتاحاً لوثائق الجنيزة (عطية القوسي، 1975م، ص 33. 1933م، ص 179)، موضحاً للعديد من الجوانب المجهولة بالمصادر التاريخية التقليدية عن رئيس الطائفة اليهودية.

1. نشأة منصب رئيس الطائفة اليهودية (النَّاجِد)

بعد أن انفصل يهود المشرق عن يهود المغرب الإسلامي؛ مع قيام الدولة الفاطمية بمصر، قامت رئاسة جديدة لليهود الغرب في مصر وفلسطين. وقد عُرف رئيس اليهود الجديد باسم (سرهساريم - أمير الأمراء)، أو باسم (النَّاجِد) (الأمير)، أو (أمير الدياسبورا) (أمير الأكاديمية الرئيسية لليهود). (S.D. (Goitein, 1967, p.209). واستقل هذا الرئيس عن رأس الجالوت Rosh Ha-Gola (or) Resh Galutha (التطيلي، 2002م، ص 301) في العراق، وقام بتعيين أحرار اليهود في مصر والشام؛ أي في

حدود دولة الفاطميين. وجمع صاحب هذه الوظيفة بين اختصاصات (رأس الجالوت) السياسية واختصاصات (الْجَاوُونَ) الدِّينِيَّة في مصر. (Jacob Mann, 1920, V.1 P. 394)، كما تكلف الفاطميون في إيجاد هذه الوظيفة الخاصة في القاهرة؛ رغبة منهم في معارضة كل ما هو بغدادى (آدم متز، 1986م، ج 1 ص 63) "وأقام رئيس الطائفة اليهودية في مصر كمبارك بن سعديا (Sarah Stroumsa, 2001, p.1) لأكثر من ثلاثين عامًا (472-503هـ/1080-1110م) بالعديد من المدن" (S.D. Goitein, 1960, p. 98).

لقَّبَ رئيس الطائفة اليهودية بمصر خلال العصر الفاطمي بلقب: النَّاجِد؛ وهي: "كلمة عبرية؛ معناها الزعيم، أو الأمير. وهو رئيس الجماعة اليهودية في الدويلات الإسلاميَّة؛ ويأتي على رأس السُّلْم الإداري للطائفة اليهودية المصرية. وهو منصب أسسه الفاطميون، وكثيرًا ما كان النَّاجِد يصبح طبيبًا في قَصْر الخلافة، وكان في معظم الأحيان ربانيًا" (ألفريد مورابيا، 2007م، ص 64 - 65). وقد أُطلق على النَّاجِد في (وثائق جَنِيْزَة الْقَاهِرَة) ألقاب عديدة مثل ألقاب: "هدية الأيام"، "تاجد الشَّعْب الطيب"، ناجد إسرائيل، ويهودا، ناجد الدياسبورا، "تاج أصحاب المقام"، "أمين الملوك" (عطية القوسي، 2001م، ص 60).

"وظهر النَّاجِد وهو يمارس صلاحياته في سجلات جنيزة مصر (الْفُسْطَاط Fustāt) وبالإضافة إلى هذا، تُثبِت أدلة الجنيزا أن الفاطميين أدركوا في الأصل جاوون، أو رأس الشيفا بالقدس، رئيس اليهود في إمبراطوريتهم، وفي ضوء ذلك جادل جويتين بأن منصب رئيس اليهود لم يظهر حتى الثلث الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) وأنه نشأ؛ ليس لخدمة مصالح الدولة الفاطمية، ولكن -بدلاً من ذلك- ليحل محل الجؤونة الفلسطينية، التي شهدت تدهوراً حاداً في العقد السابع من القرن الحادي عشر" (Mark R. Cohen, 1979, V. 4, P. 28 -29).

"وفي ظل حكم الفاطميين، كان مكتب رئيس اليهود بمثابة الممثل القانوني والديني الرئيسي للمجتمع اليهودي بأكمله في الحكومة، ومسؤولاً عن التدرع بمصالح كل قِطَاع معين من المجتمع في النصف الأول من القرن الحادي عشر، وكان المكتب يشغل في الغالب أعضاء من المجتمع القرائي، وتسلط الوثائق الأولية من العصر الفاطمي الضوء على علاقة هذا المنصب بالقيادة الفاطمية" (Jacob Chereskin,) (2016, V.1, pp. 245 - 250).

لقد كان منصب النَّاجِد، الذي اعتبر رئيس اليهود المصريين من نتائج الفتح الفاطمي لمصر؛ إذ إنه لا يبدو معقولاً أن يظل يهود مصر الفاطمية تابعين لرئيس يهود العراق الخاضع للخلافة العباسية وذلك لما كان بين الدولتين من عداة معروف، وكان ناجد الفُسطَاط هو السلطة العليا في القاهرة والفُسطَاط، وكان على حبر الإسكندرية، وبقية رؤساء الجماعة اليهودية قبول قراراته. ومن ثم تأسس "منصب رئيس اليهود (النَّاجِد) عن طريق الخلافة، بأمر من الفاطميين بعد دخولهم مصر، ويرى جويتين أن هذا المنصب ظهر تدريجياً بعد قرن من الزمان، بشكل عضوي ومن داخل المجتمع اليهودي" (Marina Rustow - Eve Krakowski,) (2014, p. 112).

الخارجية المعروفة لمعارضة (ومحاربة) العباسيين ومن عاصمتهم الجديدة في القاهرة، قرر الخليفة الفاطميّ تعيين رئيس للأقلية اليهودية المحلية لكي يحصل على الولاء منهم" (Mark R. Cohen, 1979, V. 4, P.) (30).

وقد بزغت سلطة النّاجد المركزيّة على يد مبارك بن سعديا في سنة (488هـ/1095م)، ففي عام (487هـ/1094م) أُعيد تنصيب مبارك بن سعديا رئيسًا للمعهد الفلسطينيّ بالفسطاط، وبسط سلطاته الإداريّة والدّينيّة العُليا على اليهود كافة في الدولة الفاطميّة، وسيطر على المهام، والمناصب، ولعب دورًا مهمًا في تنظيم الحياة الدّينيّة، بل ولعب دور الوسيط لليهود كافة عند حكامهم الفاطميين (مارك كوهن، 1987م، ص 36).

"كان النّاجد يُختار من أكبر الكهنة وأعلم الأحرار" (القلقشندي، 1938م، ج 11، ص 384)، ويُعيّن مثل رأس الجالوت، من قبل الخليفة. كذلك كانت سلطته السياسيّة محدودة مثل سلطة رأس الجالوت (Goitein, 1955, p. 123). وبينما "يكتنّف الخلاف حول أصول منصب رئيس اليهود حتى بعد الفترة الفاطميّة ... إلا أن وثائق الجنيزة تؤكد أنه كان الوكيل المُعتمَد للخليفة الفاطمي على يهود مصر" (Mark R. Cohen, 1979, V. 4, P. 28)، و"المُمثّل السياسي لجميع اليهود تجاه السلطات" (Miriam Moshe Yagur-Frenkel, 2019, p. 138)، وكان النّاجد بصفته "رأس يهود مصر في ذلك الوقت، تُصنع الأفعال عادة باسم منصبه" (Goitein, 1960, p. 35).

ومثّل النّاجد جماعة اليهود أمام الحُكومة الفاطميّة، وكان يقوم بتعيين القضاة (الديانيين) في المقاطعات، ويشرف على المحاكم اليهودية، وعلى مختلف أوجه نشاط اليهود في مصر والشام. كذلك كانت له السلطة على (بيت الدين اليهودي) في الفسطاط. وكانت هذه الوظيفة تمنح لصاحبها إما بسبب علمه أو لوزنه السياسي على أن يكون أساسًا من جماعة الرّبانين دون غيرها، وبذلك يرأس الرّبانية، والقرائين: "طائفة يهودية انفصلت عن التيار السائد في اليهودية في العصور الوسطى. بدأت الحركة في إيران والعراق في القرن الثاني الهجري/القرن الثامن الميلادي وانتشرت بعد ذلك إلى فلسطين ومصر وشمال إفريقيا وإسبانيا وآسيا الصغرى وأوروبا الشرقية" (Geoffrey Khan, 1997, p 53 - 102)، و"السامريين" (Jacob Mann,) (1920, p 255 - 256).

كما كان النّاجد عالمًا وواعظًا يُعيّنه الخليفة الفاطميّ كرئيس سياسي وروحي لليهود، وقد أورد القلقشندي "نسخة توقيع برآسة اليهود، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر" أوضح فيها اختيار وتفويض برآسة اليهود على اختلافهم: من الرّبانين، والقرائين، والسامرة بالديار المصريّة، وذكر صفاته وسلطاته وصلاحياته (القلقشندي، 1938م، ج 11 ص 379 - 380). وكانت سلطته الروحية كسلطة (الجاؤون) و(النّاسي) في فلسطين اللذين كانت لهما السلطة الروحية فقط في "فلسطين". وقد ذكر المقرئ (ت845هـ/1441م)، أن: "قصر الشمع - كان - في داخل الفسطاط". كما ذكر أن: "بمصر الفسطاط -

كانت توجد - كنيستان بخط قصر الشمع"، وهما: "كنيسة الشاميين... وكنيسة العراقيين" (المقريري، 1997م، ج 2 ص 69، ج 4 ص 362، ص 373).

وأورد بنيامين التُّطيلي مهام (النَّاجِد) وموضع إقامته بقصر الشمع؛ فيقول: "أما عميد يهود مصر فهو الناغيد... رئيس الجماعات اليُهودية في القطر المصري، الموكل بترسيم الريانيين والأئمة في الكنائس اليُهودية. وهو كذلك أحد عمال الملك الكبير المقيم في قلعة "صوعن" كرسي المملكة العربية" (التطيلي، 2002م، ص 350)؛ على أنه في بعض الأحيان، كان يجد نفسه مضطراً للإقامة في الفيوم، والإسكندرية لفترة محدودة؛ فيما تذكره المصادر أن (النَّاجِد مبارك بن سعديا Mevorakh b. Saadya) المعاصر لخلافة الأمر لأحكام الله الفاطمي (495-524هـ/1101-1129م)؛ اضطر إلى الإقامة بعض الوقت في الفيوم، والإسكندرية؛ هرباً من بعض المضايقات التي تعرض لها في القاهرة؛ نتيجة لسعاية بعض خصومه به (هويدا عبد العظيم، 2001م، ص 101).

كانت سُلطة النَّاجِد تزداد، ومركزه يقوى؛ كلما ازداد علمه وبرزت ثقافته. ولقد أحرزت سلالة (بيت داود) شرف النجادة على يهود مصر. وكان من حق (النَّاسِي) أن يخلف (النَّاجِد) في مركزه، ولقد وجدنا في "وثائق جَنِيْزَة القَاهِرَة" ناجدين كانوا ناسيين قبل إحرارهم لمركز النجادة مثل (مبارك بن سعديا)، وابنه (موسى)، كذلك النَّاجِد (موسى بن إسماعيل). ويبدو أن أول ناجد عينه الفاطميون هو النَّاجِد (بلطيال Paltiel)؛ الذي لعب دوراً مهماً في فتح الفاطميين لمصر، ولقد كان وقتها رأس جماعة اليُهود في مصر، واستمر كذلك في بداية حكمهم (252 - 254) (Jacob Mann, 1920, V.1, p. 252 - 254). وخلف (بلطيال) بعد وفاته ابنه (إسماعيل) ثم خلف (إسماعيل) ابنه (يوشع) (ت 472هـ/1065م). وبعد ذلك آلت النجادة إلى طبيب البلاط اليُهودي (يهودا بن سعديا) (457-472هـ/1065-1079م) ثم إلى أخيه (مبارك بن سعديا) (472-504هـ/1079 - 1110م). كذلك تولى هذا المنصب الشيخ المهذب (أبو الحسن بن الموفق ابن اسماعيل) الطبيب، وكتب له التوقيع برئاسة الفرق اليُهودية والقرائين والسامرية في جميع ديار مصر.

امتدَّت سُلطة النَّاجِد وصلاحياته القضائية تشمل الطوائف اليُهودية (ألفريد مورابيا، 2007م، ص 64 - 65) مُستَعِيناً باثنين من الوكلاء؛ يُمَثِّلان الطائفتين الآخريتين، إلا أن رئيس السَّامِرِيِّين كان يتلقى خِطَاب تعيينه من الحكومة الفاطمية مُباشِرة. ويأتي الإشراف على طائفة الريانيين من خلاله هو شخصياً بصفتها أكثر طوائف اليُهود عدداً في المُجْتَمَع الإسلامي (الفلقشندي، 1938م، ج 11، ص 385). وكان نَّاجِد الفُسطَاط هو السُلْطَة العليا في القاهرة والفُسطَاط، وعلى حَبْر الإسكندرية، وبِقِيَّة رؤساء الجماعة اليُهودية قبول قراراته (Jacob Mann, 1920, V.1, p. 205).

وكان ممن تولى منصب النَّاجِد في أواخر أيام الفاطميين الطبيب (أبو منصور إسماعيل -صموئيل- بن حنانيا)؛ الذي كانت له المكانة العالية في البلاط الخلفي واستمر يشغل هذا المنصب حتى وفاته في عهد

الأيوبيين سنة (592هـ/1195م). هذا ولم يكن لمنصب الناجد في أواخر دولة الفاطميين قوته التي كانت له أيام مجدها ولم يتول هذا المنصب شخصية ذات بال إلا الناجد إسماعيل (صموئيل) بن حنانيا.

2. نظر الناجد في شكاوى والتماسات اليهود

"الشكوى Complaint" لغة من: "شكا: شكا الرجل أمره يشكو شكواً... وتشكى واشتكى: كشكا. وتشاكى القوم: شكا بعضهم إلى بعض. وشكوت فلاناً أشكوه شكوى وشكايه وشكايه وشكاه إذا أخبرت عنه بسوء فعله، فهو مشكوك ومشككي والاسم الشكوى. قال ابن بري: الشكايه والشكايه إظهار المكروه، والاشتكاء إظهار مكروه ونحوه. وأشكيت فلاناً إذا فعلت به فعلاً أحوجه إلى أن يشكوك، وأشكيت أيضاً إذا أعتبت من شكواه، ونزعت عن شكاته وأزلته عما يشكوه" (ابن منظور، 1994م، ج14، ص439).

أما "الشكوى" اصطلاحاً؛ فتعني: "طلب خطي أو شفوي يتقدم به شخص يعد نفسه متضرراً من جراء جناية أو جنحة، يتخذ فيها صفة الادعاء الشخصي إلى الحاكم أو الوزير أو القاضي التابع له. كما أنها ميل فطري عند الإنسان يلجأ إليه عند الشعور بالألم أو الحزن أو اليأس وما يوافق ذلك من إحساس بالاضطهاد أو الطغيان أو الظلم أو الاضطراب في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية، ويخرج الإنسان عن هذا الشعور لدفع الظلم الواقع عليه من الأفراد أو المجتمع". (جبران مسعود، 1964م، ص879).

أما الإلتماس Petitions فمن: التمس، التماس، فهو مُتَمَسٌّ، والتمس يَلمَسُ، التماساً، فهو مُلمَسٌ، والمفعول مُلمَسٌ، والتمس الشخض الشيء: طلبه "التمس عملاً، أو مساعدةً، والتماس مفرد: مصدر التمس، تعني عريضة تقدم للحصول على مساعدة أو نعمة" (الزبيدي، د.ت)، ج16 ص486، أحمد مختار، 2008م، ج3 ص2036).

كان الناجد أبرز زعماء الطائفة اليهودية الذين استقبلوا شكاوى والتماسات اليهود بمصر خلال العصر الفاطمي؛ ابتداءً من عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (487-427هـ/1036-1094م)، وحتى عهد الخليفة الفاطمي الظاهر بالله (549-544هـ/1149-1154م) أو النصف الأول من القرن السادس الهجري. وكانت شؤون الجالية اليهودية من أجل وأغزر أعمال الناجد بمصر خلال العصر الفاطمي؛ خاصة في كل ما يتصل بالأحوال الشخصية للأسرة اليهودية من زواج وطلاق، وقد امتدت رعايته هذه إلى ما بعد العصر الفاطمي (Abraham David, 1999. PP. 293-332).

وتلقى رئيس الطائفة اليهودية: الناجد، العديد من الشكاوى والتماسات الاجتماعية والدينية والاقتصادية والإدارية، وكانت له محكمة معروفة باسمه في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وتذكر إحدى وثائق جنيزة القاهرة، التي تضمنت شكوى اقتصادية، خاصة بتزوير العملة، قُدمت إلى: (محكمة الناجد ميفوراخ بن سعديا Nagid Mevorak b. Sa'adya) Legal document - Court record (T-S NS J40)، كما استقبل هذا الناجد أيضاً العديد من الشكاوى الاقتصادية الأخرى في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي بالله (487-495هـ/1094-1102م) والتي تعلقت بالشراكة التجارية، والضرائب (Complaint (T-S

(13J14.14). وفيما يخص الشكاوى والالتِماسات الاجتماعية التي وردت إلى هذا النّاجِد أيضاً، فقد أبرزتها وثائق جَنِيْرَة الْقَاهِرَة، ومنها: شَكْوَى عَائِلِيَة وَزَوْجِيَة، ظهرت في عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الْمُسْتَنْصِرُ بِاللّهِ (Letter (T-S 10J11.25))، (Khan, 1986, p. 444) وشَكْوَى أُخْرَى تَخْص الميراث (T-S 16.256) (S.D.Goitein, 1983, pp. 296 - 302)، في عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الْحَافِظ لِدِينِ اللّهِ (524-544هـ/1130-1149م).

وقد وردت شكاوى والتماسات اليهود بمصر خلال العصر الفاطمي إلى النّاجِدِ صموئيل (إسماعيل) بن هاجر بن حنانيا Shemuel the Nagid b. Hananya (534-553هـ/1140-1159م)، فتلقى شكاوى اجتماعية: عائلية وزوجية (DK 232.1)، خلال عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الْأَمْر (495-524هـ/1102-1130م). وشكاوى أخرى دينية (T-S 8J27.3)، في عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الْحَافِظ لِدِينِ اللّهِ (524-544هـ/1130-1149م)، وفي عهده أيضاً تلقى العديد من الشكاوى الاجتماعية (T-S 13J13.30) (Oded) (Zinger, 2014, pp. 38-90). كما استقبل شكاوى اقتصادية، تعلقت بالضرائب (T-S 10J15.29)، (T-S 10J15.32)، في عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الظافر بالله (549-544هـ/1149-1154م).

ويمكن ترتيب نظر النّاجِدِ في هذه الشكاوى والالتِماسات على النحو التالي:

أولاً: استقبل "النّاجِد" شكاوى والتماسات اليهود التي ينظر فيها القضاة اليهود المحليون بمصر خلال العصر الفاطمي؛ والتي لا يمكنهم الفصل فيها بشكل نهائي؛ فيقوم بمراجعة عملهم، وقد يحيل الموضوع مرة أخرى إلى القاضي المحلي، إذا تبين ورود خطأ يحتاج إلى تصويب، أو خلال ما، من خلال الشكاوى المقدمة إليه؛ ويتجلى ذلك في شكاوى والتماسات الأحوال الشخصية، منها "التماس **Petition**"، قَدَمْتُهُ (أبارتا Abarta) زوجة (أبو الفرج) المشتغل بتجارة الحرير (راشد البراوي، 1948م، ص162)، إلى النّاجِدِ صموئيل هاجر بن حنانيا (520-549هـ/1127-1155م)، خلال عهد الْخَلِيفَة الْقَاطِمِي الْأَمْر بِأحكامِ اللّهِ (495-524هـ/1102-1130م). وتذكر أنها "امرأة غير محمية" (امرأة منكوبة)، لم يستطع والدها إعالتها، وشقيقتها كان صبيّاً صغيراً لا علاقة له. وتوضح أنها "علقت" مع رجل لم يخجل من الأشياء السيئة التي قالها الناس عنه (أو ربما من الأشياء السيئة التي يتحدث عنها هو نفسه؟) تَمَّتْ كِتَابَة الْإِلْتِمَاسِ بَعْدَ إِجْرَاءِ قَانُونِي أَمْرٍ فِيهِ النّاجِدِ الزَّوْجَ بِإِعَادَةِ الْكِتَابَةِ إِلَى صِيغَتِهَا الْأَصْلِيَّةِ (يبدو أن الزوج قد خفّض المبلغ المذكور في الكتوبا). أما الآن فقد أفسم الزوج على إعادة (عشرة دنائير فقط)، وهو مبلغ أقل مما تم الاتفاق عليه سابقاً. يبدو أن الزوج تمكّن من تجاهل أوامر النّاجِدِ من خلال إيجاد شخص يُدْعَمُهُ في ادعاءاته. كانت الزوجة تحصل على المشورة من جماعتها ومن القاضي المحلي، لكنها تكتب أنها سئمت من الكلمات وعدم اتخاذ أي إجراء. فالقاضي، على سبيل المثال، قال لشقيقتها أن يترك الأمر حتى يوم الأحد، لكن "يوم الأحد جاء ولم يتم فعل أي شيء من أجل مشكلتي باستثناء التأجيل". تشكو من أنها تُعَامَلُ "كما لو كنت أنا من فعلت شيئاً غير مسموح به". حتى حكم النّاجِدِ تعرض لعملية تفاوض على القاضي المحلي حتى تم تخفيفه إلى عدم الفعالية (DK 232.1).

ويتضح أن الشكاوى التي كانت تُرفع إلى القاضي اليهودي المحلي؛ دونما أن يتمكن من الفصل فيها، كان يجوز لصاحبها مراجعتها أمام محكمة الناقد، وهناك يلتزم ما يريده؛ مبيناً ومفصلاً أسباب الشكاوى، وقد يُضَاف إليها تفاصيل أخرى كما هو واضح في هذه الشكاوى، التي نعتقد أن محكمة القاضي المحلي حُجِب عنها بعض التفاصيل المهمة، التي أوضحتها الزوجة أمام الناقد؛ حيث تمت كتابة الإلتماس بعد إجراء قانوني أمر فيه الناقد الزوج بإعادة الكتوبا إلى صيغتها الأصلية". ويبين ذلك أيضاً أن الناقد كان مسؤولاً عن مراجعة عمل القضاة المحليون، وأحكامهم.

وقد يقوم القاضي المحلي بتأجيل النظر في الشكاوى المقدمة، لحين نظر الناقد فيها، وهذا ما تم تقريباً؛ حينما قرر الناقد أن يشرف القاضي المحلي على التفاوض بين الزوج والزوجة للوصول إلى حل. وكان يوم الأحد من كل أسبوع هو موعد بداية النظر في الشكاوى والمظالم المرفوعة إلى القضاة المحليون؛ فيما يتضح من تأجيل القاضي النظر في القضية المعروضة عليه إلى يوم الأحد: فالقاضي، على سبيل المثال، قال لشقيقها أن يترك الأمر حتى يوم الأحد - لكن كما تذكر الزوجة - "يوم الأحد جاء ولم يتم فعل أي شيء من أجل مشكلتي باستثناء التأجيل".

وهذه الشكاوى دليل على أن شكاوى اليهود الخاصة بالأحوال الشخصية بمصر خلال العصر الفاطمي كانت مُعقدة جداً؛ نظراً لما كان فيها من تفاصيل خاصة، يلزم التحقق منها للأطراف جميعها وعلى رأسهم: الزوج والزوجة.

لقد تناولت هذه الشكاوى عدة مسائل جدية بالناقشة، مُرتبطة بحقوق الزوجة، منها: حق التقدّم بشكاوى لإثبات ما أجراه الزوج من تعديل وتغيير في قيمة المهر، المسجل بوثيقة زواجهما، مع التماس التحقيق في ذلك، من خلال محكمة الناقد (صموئيل (إسماعيل) بن هاجر بن حنانيا)، الذي أمر بكتابة الإلتماس بعد اتخاذ إجراء قانوني أمر فيه الزوج بإعادة كتابة مهر زوجته إلى صيغته الأصلية؛ فيما يتضح أن الزوج قد خفّض المبلغ المذكور في الكتوبا (عقد الزواج)، الذي من المرجح أن الزوجة لم تعرف قيامه بذلك، إلا حينما طلبت منه الطلاق، فأضطّعت على تعديله لمهرها المسجل بالعقد، وهو غير المُتفق عليه في بداية زواجها؛ والذي لم يراجعه والدها أو أخيها؛ حيث ذكرت: أنها "امرأة غير محمية" (امرأة منكوبة)، لم يستطع والدها إعالتها، وشقيقها كان صبياً صغيراً لا علاقة له".

وتُظهر الشكاوى مسألة شائنة، وهي تجاهل الزوج أوامر الناقد (رئيس الطائفة اليهودية)؛ إذ أفسم الزوج على إعادة (عشرة دنانير فقط)، وهو مبلغ كان أقل مما تم الاتفاق عليه سابقاً. فيما يبدو أن الزوج تمكن من تجاهل الناقد من خلال إيجاد شخص يُدعمه. في ادعاءاته. مما أصاب الزوجة بالسأم؛ إذ كانت شرائع اليهود تعترف بالمهر، وتلزم الزوج بدفعه لزوجته، كما توجب ذكر المهر في وثيقة الزواج "وبالنسبة لمقداره فإن المعمول به عند اليهود هو ألا يكون للمهر حد أدنى أو أقصى، ومع ذلك فكان الربانيون يحبذون أن

يتراوح المهر الشرعي للبكر ما بين مائتين أو سبعة وثلاثين درهماً من الفضة النقية، وكان يكفي بالنصف لغير البكر سواء أكانت الزوجة غنية أم فقيرة" (محاسن محمد الوقاد، 2010م، 193).

وَيُبَيِّنُ الْإِلْتِمَاسَ وجود قضاة يهود مَحَلِّيِّينَ؛ يختلف عملهم عن القضاة اليَهُودِ الموجودين بالمدن الكبيرة، كَالْفُسْطَاطِ وَالْقَاهِرَةِ، وَالْإِسْكَندَرِيَّةِ؛ بما يَدُلُّ على أن الزوجة من موضع غير ذلك؛ حيث تُذَكَّرُ الزوجة أنها قامت بِإِسْتِشَارَةِ الْقَاضِي الْمَحَلِّيِّ؛ دونما ذكر لاسم الموضع؛ هذا فضلا عن إبراز الشكوى ضعف هؤلاء القضاة في إصدار الْأَحْكَامِ، كما هو وارد بالوثيقة؛ فالقاضي -على سبيل المثال- قال لشقيقها: أن يترك الأمر حتى يوم الأحد، لكن، كما ذَكَرَتْ صاحبة الشكوى: "يوم الأحد جاء ولم يتم فعل أي شيء من أجل مشكلتي باستثناء التَّأَجِيلِ". وتشكو من أنها تُعَامَلُ "كما لو كنت أنا من فعلت شيئا غير مَسْمُوح به". إلى أن حَكَمَ النَّاجِدُ بَأَن تَعْرِضَ شِكْوَاهَا بِعَمَلِيَّةِ تَقَاوُضٍ عَلَى الْقَاضِي الْمَحَلِّيِّ، حتى تم تخفيفه إلى عَدَمِ الْفَعَالِيَّةِ.

ثانياً: ناط بالناجِدِ النظر في إلتِمَاسَاتِ الْيَهُودِ الدِّيْنِيَّةِ؛ تلك المتعلقة بـ اعتناق الديانة اليَهُودِيَّةِ نفسها؛ فيما ظهر من وثائق جَنِيْزَةِ الْقَاهِرَةِ "الْتِمَاسِ Petition" نادر، قُدِّمَ إلى زعيم الطائفة اليَهُودِيَّةِ النَّاجِدِ، من امرأة؟! تريد التحول إلى اليَهُودِيَّةِ (Judaism). كانت قد ذهبت إلى (أطفيح Atfih)، فأشارو عليها بأن تتواصل مع ناجيد (T-S 8J27.3) (T-S 8J27.3)، خلال عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م). وكان مثل هذه الإلتِمَاسَاتِ تَلْزِمُ مَثُولَ الشَّخْصِ نَفْسَهُ أَمَامَ النَّاجِدِ؛ لكي يقوم بعمل الطقوس الدِّيْنِيَّةِ الخاصة بهذا الاعتناق أو الدخول في الديانة اليَهُودِيَّةِ.

ولا يكشف الإلتِمَاسَ والمِلْتِمَاسَ الأسباب الدافعة إلى هذا التحوُّل من المسيحية إلى اليَهُودِيَّةِ، خلال هذه الفترة المتأخرة من عصر الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ، مع العلم أنه: "في وقت الفتح الإسلامي (21هـ/642م)، كانت الغالبية العظمى من المصريين مسيحيين، يعيشون جنبا إلى جنب مع مجتمع كبير من اليَهُودِ ... علاوة على ذلك، كانت توجد العديد من الكنائس والأديرة في محيط ما يسمى بقصر الشمع أو حصن بابليون" (Audrey Dridi, 2015, p.107)

وإن كانت تدل على أوضاع أهل الذمَّة من المسيحيين، إلا أنها غامضة بشكل كبير، ولكن يحتمل أن هذه المرأة التي تمت الإشارة إليها كانت على الديانة المسيحية، طلبت التحول من ديانتها المسيحية إلى اليَهُودِيَّةِ، ويمكن مناقشة وتفسير هذا الإلتِمَاسِ النَّادِرِ، من عدة جوانب:

أولاً: رغم أن مَوْضِعَ هذه الوثيقة غير مُحَدَّدٍ وَالْإِشَارَةُ الْمَذْكُورَةُ أَنَّهَا ذَهَبَتْ إِلَى "أَطْفِيحِ Atfih"، تؤكد أنها ليست من أهل أطفيح، في الوقت نفسه لم تشر الوثيقة إلى موضعها الدَّاهِيَّةُ مِنْهُ إِلَى أَطْفِيحِ، ولكن من المؤكد أنه موضع قريب منها على أقل تقدير. وربما يكون في ذلك إشارة ضمنية إلى تجوال هذه المرأة وتردها على أكثر من موضع للحصول على هذا المطلب؛ حيث يتبين سؤالها الناس ذلك، فأشاروا عليها بما يجب عليها اتباعه بشأن الذهاب إلى تَّاجِدِ، إشارة لذهابها إلى الْفُسْطَاطِ على أقل تقدير، لتهودها على أيدي زعيم الطائفة اليَهُودِيَّةِ هناك، كما أن ذلك يؤكد عدم علمها وخبرتها بشؤون الطائفة اليَهُودِيَّةِ وأحوالها المتصلة بزعيم هذه

الطائفة. كما يبرز الإلتِماس من جهة أخرى ما يتعلق بديانة الذين أشاروا عليها في ذلك أهم يهود أم مُسلمين، ومن المحتمل أنهما معاً، فالمُسلمين يعرفون جيداً ذلك الشخص الزعيم لهذه الطائفة.

ثانياً: إنّ بحث المرأة عن يُمكِنها من التحوّل إلى اليهودية، فيه مناقشة خاصة لإجراءات هذا التحوّل، فهو يبين ضمناً أن هنالك ضوابط وقواعد خاصة لهذا التحول، وإلا لما طلبت المرأة ذلك، كما أن إعلانها امرأة يهودية، يتضح منه أن ذلك يحتاج إلى أن تكون مُسجّلةً باسمها رسمياً في سِجَلات أفراد الطائفة اليهودية، وهذا التسجيل يتضمن الاسم والموضع، وهذا يفسر جدّة بحثها عن هذا الطلب، ومحاولتها التحوّل بشكل رسمي إلى هذه الديانة والاستفادة مما تميزت به هذه الطائفة. ثم لا نستطيع تَرْجِيح أو اقتراح أسباب محتملة أخرى ودافعة لهذا التحوّل إلا محاولة هذه المرأة اكتساب ما تميز به أفراد الطائفة اليهودية من مميزات غالبية على ما اكتسبه أهل الدّمة الآخرين من أصحاب الديانة المسيحية؛ وخاصة مع أواخر عصر الدّولة الفاطمية، وتحديد أدق فيما بعد عصر الخليفة المُستَنصِر بالله الفاطمي. وجدير بالذكر أن: "العاصمة الجديدة المُسَنطاط ... كانت تعيش فيها مجموعات من ديانات مختلفة: المُسلمون والمسيحيون واليهود جنباً إلى جنب في نفس المكان. وكانت الحاجة الناشئة لجميع المُجتمعات الثلاث للتعايش سبباً لمشاكل محددة كان على الفاطميين إدارتها. لقد حققوا ذلك من خلال إقامة حدود مكانية وقانونية بينهم وبين الشعوب التي تم حكمها، والتي لم تساعد فقط في تنظيم مجتمع المُسَنطاط، ولكن أيضاً لمنع أي خطر من الاندماج" (Audrey Dridi, 2015, p.108).

جدير بالذكر أن: "العاصمة الجديدة المُسَنطاط ... كانت تعيش فيها مجموعات من ديانات مختلفة: المسلمون والمسيحيون واليهود جنباً إلى جنب في نفس المكان. وكانت الحاجة الناشئة لجميع المجتمعات الثلاث للتعايش سبباً لمشاكل محددة كان على الفاطميين إدارتها. لقد حققوا ذلك من خلال إقامة حدود مكانية وقانونية بينهم وبين الشعوب التي تم حكمها، والتي لم تساعد فقط في تنظيم مجتمع المُسَنطاط، ولكن أيضاً لمنع أي خطر من الاندماج" (Audrey Dridi, 2015, p.108).

وفي السنة المُورَّخ فيها الإلتِماس (532هـ/1138م) "تقدم الوزير رضوان إلى ديوان الإنشاء بإنشاء سجل في الوضع من النَّصارى واليهود؛ فأنشأه أبو القاسم ابن الصيرفي، منعوا فيه من إرخاء الذوائب وركوب البغلات ولبس الطيالة، وأمر النَّصارى بشد الزنابير المخالفة لألوان ثيابهم، وألا يجوزوا على معابد المسلمين ركباناً؛ فما رئي في أيامه يهودي ولا نصراني يجوز على الجامع ركباً، لكنه ينزل ويقود دابته. وأمر أن يؤخذ الجزية من فوق مساطب وهم وقوف أسفلها. ومنعهم من التكني بأبي الحسن وأبي الحسين وأبي الطاهر، وأن يبيضوا قبورهم. وضمن ذلك كله السجل؛ فعمل به" "كما نزع السعر في هذه السنة لتوقف النيل، فنال الناس مجاعة؛ فأمر الحافظ بفتح الأهرام والبيع منها على الناس بأوساط الأثمان، فلم يمض الوزير بذلك" (المقريزي، 1973م، ج3 ص 165 - 166).

لقد تم إهمال قضايا تحول اليَهُود إلى المسيحية والتبشير المسيحي إلى اليَهُود، أو التحول إلى المسيحية إلى اليَهُودية والتبشير اليَهُودي بين المسيحيين". في حين أن: "اللقاء بين اليَهُود والمسيحيين في ظل الحكم الإسلامي استمر في كونه لقاءً مهماً لجميع المعنيين، وأن هذا التحول في أي من الاتجاهين كان احتمالاً حقيقياً للغاية ... علاوة على ذلك، فإن الأدلة على تحول اليَهُود والمسيحيين إلى ديانات بعضهم البعض خلال الفترات المعنية تتطلب إعادة النظر في وظائف ومعاني الأعمال الجدلية والقانونية التي تتناول العلاقات اليَهُودية - المسيحية في هذه الفترة الفاطمية، ودرجة الاختلافات في اللغات والنصوص، أو اللاهوت".

إنَّ إحدى العقبات التي تحول دون افتراض أن اليَهُود والمسيحيين يمكن أن يتحولوا بحرية إلى ديانة بعضهم البعض أو كانوا سيحولون بحرية إلى دين الآخر هو أنه بموجب الشريعة الإسلامية، كان التحول إلى أي دين آخر غير الإسلام ممنوعاً. في نظرة عامة حديثة على التحول في اليَهُودية، كان تجريم التحول إلى اليَهُودية في القانون الإسلامي وكذلك المسيحي كافياً لجعل آلان سيغال يصرح بأنه كان "ضعيفاً"، أي نادراً، خلال العصور الوسطى. ومع ذلك، يحذر موشيه ياغور من افتراض أن الشريعة الإسلامية كانت متطابقة أو مطبقة بشكل متساوٍ في جميع الأماكن والأزمنة، وتجادل بأنه، على عكس الحكمة الشائعة، فإن معظم المدارس القانونية داخل لم يمنع الإسلام التحول عن أحد" (- 71 pp. Alexandra Cuffel, 2020, pp. 71 - 72).

ثالثاً: كانت سمة التفصيل غالبية في تحرير وكتابة شكاوى والنمّاسات اليَهُود الإجتماعية المتصلة بالأحوال الشخصية، التي يستقبلها النّاجد، فقد احتوت على شروح جيدة لحال الشاكي والملتمس؛ فيما تجلّى من الإلتماس السابق، ويضاف إليه هنا أيضاً التماس، مُقدّم إلى (النّاجد صموئيل بن حنانيا Shemuel the Nagid b. Hananya) خلال عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)؛ يذكّر "معاناة زوجة"؛ تصف الخلاف مع زوجها بالتفصيل، وتلتمس مساعدة النّاجد، وذكرت على وجه الخصوص، وثيقة الطلاق، وهدية الزواج المؤجلة، وفشل زوجها في إعالة أسرته (T-S 13J13.30, Oded Zinger, pp. 38 - 90) ويتضح ذلك أيضاً عبر "شكوى كتبتها امرأة إلى رئيس اليَهُود في الفسطاط" (T-S 12.493, S. D. Goitein, 1971, pp. 88 - 101)

وقد تكررت مسألة تدخّل النّاجد في النظر والفصل في الشكاوى التي يرفعها اليَهُود إلى المحاكم اليَهُودية للقضاة، خلال عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (544-524هـ/1130-1149م)، في ضوء "النمّاس Petition"، ورَدَ من (بلييس)، يطلب فيها (أبو الأشقر البلييسي Abu al-Ashqar al Bilbaysi)، من النّاجد (صموئيل بن حنانيا Shemu'el b. Hananya) (534-553هـ/1140-1159م)، التدخل في قضية؛ أراد فيها بعض الإخوة إلغاء خطبة أختهم التي استمرت لسنوات. (; ENA 1822a.4) (Mediterranean Society, III, p. 445)

رابعاً: كانت كِتَابَةُ الاقْتِبَاسَاتِ الدِّيْنِيَّةِ فِي صَدْرِ شَكَاوَى وَالتَّمَاَسَاتِ الْيَهُودِ، الَّتِي تُقَدَّمُ إِلَى النَّاجِدِ مَسْأَلَةً غَيْرِ اعْتِيَادِيَّةٍ؛ فِيمَا يَتَجَلَى مِنْ (شَكَاوَى Complaint)، إِلَى النَّاجِدِ صَمُوئِيلِ بْنِ حَنَانِيَا Samuel (534-553هـ/1140 - 1159م)؛ تَزِينَتْ بِمَقْدَمَةٍ فِيهَا اقْتِبَاسَاتٌ كِتَابِيَّةٌ مِثْلُ: (مِزَامِير 1: 119)؛ تَتَضَمَّنُ شَكَاوَى بِخُصُوصِ رَجُلٍ، يُدْعَى (أَبُو الْفَضْلِ Abū l-Faḍl)؛ أَمْرُهُ (الْحَبْرُ أَبُو سَهْلِ the Ḥaver Abū Sahl) بِالتَّخْلِیِ عَنِ جَارِيَّتِهِ، لَكِنَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ وَضَعَهَا مَعَ أُخْتِهِ، وَاسْتَمَرَ فِي رُؤْيَيْتِهَا (T-S 10J17.22).

خامساً: كُنِّبَتْ بَعْضُ الشُّكَاوَى وَالتَّمَاَسَاتِ الْمَرْفُوعَةِ إِلَى النَّاجِدِ، فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ عَلَى يَدِ كَاتِبٍ غَيْرِ صَاحِبِ الشُّكَاوَى أَوْ الِاتِمَاسِ. فِيمَا تَجَلَى بِإِحْدَى الْوُثَائِقِ النَّفِيسَةِ مِنْ جِنِيزَةِ الْقَاهِرَةِ، تَتَضَمَّنُ (التَّمَاَسِ Petition)، بَعْدَ فَرَضِ ضَرَائِبٍ وَرَسُومٍ بَاهِظَةٍ عَلَى طُهَاةِ السُّكَّرِ، فِي عَامِ (544هـ/1150م)، خِلَالَ عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ الطَّافِرِ بِأَمْرِ اللَّهِ (544-549هـ/1149-1154م)، وَوَزِيرِهِ: سَلِيمِ بْنِ مِصَالِ الْكَلْبِيِّ (وَزِيرِ سَيْفِ) (544هـ/1150م). وَقَدْ أُرْسِلَ الْإِتِمَاسُ إِلَى النَّاجِدِ "صَمُوئِيلِ بْنِ حَنَانِيَا Shemuel b. Hananya"، مَكْتُوبًا بِخَطِّ يَدِ الْكَاتِبِ (شَابِتِي بْنِ إِبْرَاهِيمِ Shabbetay b. Avraham) وَيَطْلُبُ مِنْهُ الْحُصُولَ عَلَى سِجَلٍ مِنَ الْخَلِيفَةِ يَمْنَعُ الْحَاكِمَ الْمَحَلِّيَّ مِنْ فَرَضِ رَسُومٍ عَلَى طُهَاةِ السُّكَّرِ لضعف السَّعْرِ الْعَادِيِّ لِلسُّكَّرِ الْخَامِ (Petition T-S 10J15.29, T-S 10J15.32). وَيَشِيرُ هَذَا الْإِتِمَاسُ إِلَى مَسْأَلَةٍ مَهْمَةٍ جَدًّا هِيَ أَنَّ النَّاجِدَ كَانَ أَحَدَ طَرَفِ الْوَصْلِ وَالِاتِّصَالِ عِنْدَ الْيَهُودِ بِالْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ غَيْرَ دَائِمٍ؛ فَضِلَا عَنِ تَلْقِيهِ السَّجَلَاتِ الْحُكُومِيَّةِ الَّتِي يَصْدُرُهَا الْخَلِيفَةُ الْفَاطِمِيُّ بِشَأْنِ الْيَهُودِ أَوْ بِشَأْنِ مَا يَسْرِي عَلَيْهِمْ مِنْ قَرَارَاتٍ وَعَلَى غَيْرِهِمْ أَيْضًا.

سادساً: ظَهَرَتْ عِدَّةٌ مِنَ الْمَلَاَحِظَاتِ حَوْلِ الْخَلْفِيَّةِ التَّارِيخِيَّةِ وَتَطَوَّرَ الصِّيغِ الْوُثَائِقِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُبَكَّرَةِ فِي جِنِيزَةِ الْقَاهِرَةِ (Geoffrey Khan, 2008, P. 885-906). وَنَسْتَطِيعُ الْوُقُوفَ عَلَى جَوَانِبِ أُخْرَى مُمْتَزِةٍ فِي افْتِتَاحِيَّةِ الشُّكَاوَى وَالتَّمَاَسَاتِ الَّتِي قَدَّمَهَا الْيَهُودُ إِلَى النَّاجِدِ؛ رَئِيسِ الطَّائِفَةِ الْيَهُودِيَّةِ بِمِصْرٍ خِلَالَ الْعَصْرِ الْفَاطِمِيِّ. وَذَلِكَ مِنْ خِلَالِ "التَّمَاَسِ Petition"، تَقَدَّمَتْ بِهِ امْرَأَةٌ مُفْلِسَةٌ، هِيَ أَرْمَلَةٌ (أَبُو سَرِي) إِلَى النَّاجِدِ (مِيفُورَاخِ (مَبَارِكِ) بْنِ سَعْدِيَا Mevorak b. Sa'adya) (487-494هـ/1094-1101م)، فِي عَهْدِ الْخَلِيفَةِ الْفَاطِمِيِّ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ (427-487هـ/1035-1094م) وَوَزِيرِهِ بَدْرُ الْجَمَالِيِّ (466-487هـ/1074-1094م)؛ تَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يَنْقِذَهَا فِي دَعْوَى مَرْفُوعَةٍ ضِدَّهَا مِنْ قِبَلِ أَقْرَابِ زَوْجِ ابْنَتِهَا الْمَتُوفَى. وَقَدْ جَاءَ فِي مَقْدَمَتِهَا عِبَارَاتُ الشُّنَاءِ وَالتَّبْرُكِ وَالتَّعْظِيمِ وَالفَخَامَةِ لِلنَّاجِدِ؛ تَدُلُّ عَلَى مَكَانَتِهِ وَعَلُوِّ مَنزَلَتِهِ وَسُلْطَانَتِهِ بِمِصْرٍ خِلَالَ الْعَصْرِ الْفَاطِمِيِّ.

"سَيِّدُنَا الرَّئِيسُ وَزَيْرُ الْوُزَرَاءِ وَالْوَلَاةِ نَّاجِدِ كُلِّ إِسْرَائِيلَ، يُبَارِكُهُ إِلَهَنَا، وَيَحْفَظُهُ وَيَكُونُ مَعَهُ" (T-S ..

10J11.25, Geoffrey Khan, p. 444)

وتظهر عبارات التَّفْخِيمِ وَالْجَلَالَةِ لرئيس الطائفة اليَهودية بشكل فيه تجاوز لِسلْطَانِهِ خلال عهد الخَلِيفَةِ الفَاطِمِي المُسْتَعْلِي بالله (487-495هـ/1094-1101م). ونعتقد أن ذلك التَّمجيد لِلنَّاجِدِ كان شائعاً بشكل خاص في الشكَاوَى والائْتِمَاسَات التي قدمها اليَهود إليه بمصر خلال العَصْر الفَاطِمِي؛ محاولة لكسب وده وعطفه؛ حتى يتم تلبية التِمَاس الشاكي، وأن يتدخل بكل قوته وعزيمة لحل الشكْوَى المقدمة. وقد تجلى ذلك في شكَاوَى أخرى، زادت معها كلمات التعظيم لِلنَّاجِدِ (مبارك بن سعديا Mevorak b. Sa'adya):

"بِاسْمِكَ أَرْحَمَ اللَّهُ يَصْعَدُ! يَسْمَعُ مِنَ الْعَبْدِ مَدُّ الْأَيْدِي إِلَى بِلَاطِ رَبِّنَا [أَي النَّاجِدِ] الْحَاخَامِ نَاجِدِ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ وَزَيْرِ الْوُزَرَاءِ صَاحِبِ الشَّرْفِ.. السَّيِّدِ مُبَارَكِ بْنِ سَعْدِيَا.. الْمُؤَقَّرِ" (T-S 13J14.14, S.D. .. Goitein, 2:361)

"والحَاخَامِ أَوْ 'شَاخَام' Chakham، حكيم، وتستخدم بشكل عام لتشير إلى الربيين في الفترة التلمودية، ويستخدمها اليَهود السفارديون كبديل للفظ رابي" (آلان انترمان، 2004م، ص 397). وقد ظلَّ ذِكْرُ عِبَارَاتِ التَّاءِ وَالتَّبْرُكَاتِ مذكورة في صدر شكَايَا والائْتِمَاسَاتِ اليَهود المرفوعة إلى "النَّاجِدِ مُبَارَكِ The Nagid Mevorak" بمصر، خلال عهد الخَلِيفَةِ الفَاطِمِي الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)، ويتضح ذلك من خلال (شكْوَى Complaining) فُدمتُ إليه بالفُسْطَاطِ؛ يتحدث موضوعها عن (حقوق الأيتام) في الميراث، من امرأة.

"وَزَيْرِ الْوُزَرَاءِ حَاكِمِ الْمُحَافِظِينَ [!] ... وَيَزِيدُ مَجْدَهُ وَيَرْفَعُ ثَرْوَتَهُ ... " (T-S 16.256)

واستمر تصدير شكَاوَى والائْتِمَاسَاتِ اليَهود بمصر خلال العَصْر الفَاطِمِي بكلمات التَّاءِ وَالتَّبْرُكَاتِ بشكل كبير جداً لِلنَّاجِدِ خلال عهد الخَلِيفَةِ الفَاطِمِي الأَمْرُ بِأَحْكَامِ اللَّهِ (524-495هـ/1102-1130م)؛ في ضوء استفتاح لمقدمة أخرى بإحدى الشكَاوَى؛ رُفِعَتْ إِلَى النَّاجِدِ (صموئيل هاجر بن حنانيا Shemuel the Nagid b. Hananya)؛ زادت فيها الشاكية - وهي امرأة أرملة - العديد من عبارات التَّاءِ وَالتَّبْرِكَاتِ في نحو سبعة أسطر: "رَبَّنَا وَنُورُ أَعْيُنِنَا وَحَيَوَانِ قَلْبِهِ وَإِكْلِيلِهِ رَيْسِنَا وَمَجْدُ أَجْيَالِنَا، رَبَّنَا صَمُوئِيلُ الْكَبِيرُ (!) وَزَيْرُ الْوُزَرَاءِ وَحَاكِمِ الْحُكَّامِ وَالنَّاجِدِ فِي كُلِّ بَيْتِ إِسْرَائِيلِ الْبَارُّ، سَوْفَ يَمْنَحُكَ نِعْمَةً فِي عَيْنِي اللَّهِ وَالنَّاسِ فِي عَيْونِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَحَبِيبَتِيهِ [..] الْخُدَّامِ الْجَبَابِرَةِ، وَسَيُحَقِّقُونَ رَغْبَاتِ قَلْبِهِ فِيهِمْ [..]" (DK 232.1)

جدير بالإشارة هو ما أوضحتها عدد من شكَاوَى والائْتِمَاسَاتِ اليَهود لارتباطها الغير مباشر بالعقيدة اليَهودية وقد ظهر ذلك عَبْرَ الاقتباسات الدِّيْنِيَّةِ الواردة في بداية ونهاية بعض نصوصها؛ ودونما شك فإن موضوع الدِّرَاسَةِ ذات صلة بذلك "فالتاريخ اليَهودي يعد عنصراً أساسياً من عناصر العقيدة اليَهودية؛ بحيث إننا لا نستطيع أن نكتب عن مشكلات العقيدة اليَهودية دون أن نعرض لتاريخ اليَهود ... الذين استمدوا عقيدتهم من تاريخهم وما حدث لهم؛ بحيث أصبحت العقيدة اليَهودية في حقيقتها بلورة لنتائج ما حدث لليهود على مدى تاريخهم، ويكاد اليَهود يكونون الأمة الوحيدة التي كتبت تاريخها بيدها" (عبد الله علي حسين 2011م، ص 109).

وبرزت عبارات أخرى من الثناء والتبريكات في استفتاح شكوى قُدمت إلى الناجد (صموئيل هاجر بن حنانيا Shemuel the Nagid b. Hananya)؛ خلال عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (524-544هـ/1130-1149م)، وقد وصفته بـ "تاج الرئاسة"، ودعت له فيه بـ "دوام السلطنة":

"خَادِمُهُ إِلَى الْأَبَدِ ... رَبَّنَا وَعِزَّةٌ مَجْدِنَا مِنْ رَبَّنَا، وَرَبَّنَا صَمُوئِيلُ الْوَالِي ... وَزَيْرُ الْوُزَرَاءِ وَحَاكِمِ الْوَلَاةِ ... تَاجُ الرِّئَاسَةِ إِلَّا هُنَا إِسْرَائِيلُ ... فِي حَيَاتِهِ وَطَوَّلِ حَيَاتِهِ، وَحَيَاتِهِ وَسُلْطَتِهِ تَدُومُ حَتَّى مَجِيءِ الْمُعْلَمِ الْعَدْلِ ... وَكَذَلِكَ إِرَادَةُ عَبْدِ اللَّهِ تَعَالَى... (T-S 13J13.30, Oded Zinger, p. 90).

كما تجلت كلمات وعبارات جليلة وتعظيم كبير في مقدمة نفيسة بإحدى الشكاوى المقدمة إلى الناجد (صموئيل هاجر بن حنانيا Shemuel the Nagid b. Hananya) خلال عهد الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (544-524هـ/1130-1149م):

طوبى للأبرياء السائرين في عقيدة الله ربنا [مُبَارَك] طوبى للرجل المتقي، الرب الذي يحزن جدا عظمة ربنا ونور عيوننا ولطف ربنا صموئيل الحاكم العظيم وزير الوزراء وحاكم الولاة ليحيا اسمه إلى الأبد، وليحيا وحبيبته تحته أبواك يكونون لك، وتجعلهم رؤساء على كل الأرض (T-S 10J17.22).

خاتمة

لقد تبين أن الشكاوى والالتماسات كانت أدوات أساسية للحياة اليومية؛ لأنها عملت على إحداث تغيير حقيقي من خلال قوة الكلمة المكتوبة وقد فعلوا ذلك على وجه التحديد لأنهم اعتمدوا على ذخيرة من الاصطلاحات الراسخة، ومجموعة متماسكة من التنسيقات والصيغ والمصطلحات الفنية وأنواع النصوص القابلة للتكرار والتي يمكن التعرف عليها - والتي ساعدت في ضمان كفاءتها جزئيا من خلال الإشارة إلى خبرة وسلطة الكتبة الذين يكتبون بها. ولا يزال يحتاج العصر الفاطمي بمصر إلى دراسات خاصة ومستقلة من خلال وثائق الجنيزة، خاصة بعد أن توفر العديد منها وأصبح متاحا للاطلاع، فضلا عن تخصيص حقل للدراسات التاريخية يعتني ويهتم بجنيزة القاهرة وموضوعاتها. كما كشفت الدراسة عن تنوع دور رئيس الطائفة اليهودية بمصر خلال العصر الفاطمي، ومدى التواصل بينه وبين أفراد طائفته. وكيف كانت تتم مخاطبته بأجل العبارات والمدح والثناء.

قائمة المصادر والمراجع

• الوثائق (جامعة كامبريدج Cambridge Genizah Collections):

- (DK 232.1) (1127 AD/ 520 AH) - (ENA 1822a.4) (1140 AD / 534 AH).
- (T-S 10J11.25) (1094 AD / 486 AH) - (T-S 10J15.29), (1150 AD/544 AH)
- (T-S 10J15.32) (1150 AD/544 AH) - (T-S 10J17.22) (1140 AD/534AH)
- (T-S 12.493) (1145AD/539AH) - (T-S 13J13.30) (1140/534).
- (T-S 13J14.14) (1096 AD / 488 AH) - (T-S 16.256) (5th century).
- (T-S 8J27.3), (1139 AD / 532 AH) - (T-S NS J40) (1079 AD/ 471AH)

• المصادر:

- 1- ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي) المتوفي سنة 711هـ/1311م، (1414هـ/1994م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3.
- 2- بنيامين التطيلي (الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري اليهودي) المتوفي سنة 569هـ/1173م، (1423هـ/2002م): رحلة بنيامين التطيلي، دراسة وتعليق: عبد الرحمن الشيخ، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط1.
- 3- القلقشندي (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي) المتوفي سنة 821هـ/1418م: صُبْحُ الأعشى في صناعة الإنشاء، 1-14، دار الكتب المصرية، القاهرة، (1912 - 1938م).
- 4- المقرئزي (نقي الدين أحمد بن علي) المتوفي سنة 845هـ/1441م (1418هـ/1997م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، 1-3، الأول: تحقيق: جمال الدين الشَّيْال، الثاني والثالث، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، (1967م - 1973م).
- 5- المقرئزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

• المراجع:

- 6- أحمد مختار عبد الحميد (1429هـ/2008م): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1.
- 7- آدم متز (1407هـ/1986م): الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (أو عصر النهضة في الإسلام)، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو ريده، الدار التونسية للنشر، تونس.
- 8- آلان انترمان (1425هـ/2004م): اليَهُود: عاداتهم الدينية وعباداتهم، ترجمة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- 9- ألفريد مورابيا (1428هـ/2007م): "يهود مصر في ظل الإسلام: من الفتح العربي إلى حملة بونايرت"، بحث منشور ضمن كتاب: (تاريخ يهود النيل)، تحرير: جاك جاسون، ترجمة: يوسف درويش، دار الشروق، القاهرة.
- 10- جبران مسعود (1384هـ/1964م): الرائد: معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط1.
- 11- راشد البراوي (1405هـ/1948م): حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1.
- 12- عطية أحمد القوصي (1422هـ/2001م): اليَهُود في ظل الحضارة الإسلامية، (سلسلة فضل الإسلام على اليَهُود واليَهُودية، مركز الدراسات الشرقية، جامعة القاهرة، العدد: 2).
- 13- مارك كوهن (1408هـ/1987م): المجتمع اليَهُودي في مصر الإسلامية في العصور الوسطى، ترجمة: نسرین مرار - سمير النقاش؛ مراجعة: سليمان جبران؛ مقدمة ساسون سوميخ، المعهد اليَهُودي العربي، جامعة تل أبيب، مكتبة لقاء.
- 14- محاسن محمد الوقاد (1432هـ/2010م): "عقود زواج اليَهُود في وثائق الجنيزة: مصدر من مصادر تاريخ مصر الاجتماعي في العصر المملوكي"، (أشغال الملتقى الدولي السادس حول الكتابة التاريخية في العالم العربي الإسلامي في العصر الوسيط من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، جامعة تونس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، مخبر تاريخ العالم العربي الإسلامي الوسيط، أبريل).
- 15- هويدا عبد العظيم رمضان (1422هـ/2001م): اليَهُود في مصر الإسلامية: من الفتح الإسلامي حتى العصر الأيوبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

• المقالات:

- 16- عبد الله علي حسين - مبروك محمد عبد السميع (1433هـ/2011م): "مصادر اليَهُود المقدسة: دراسة نقدية"، (مجلة مركز البحوث والدراسات الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مج7، العدد: 22)، ص109.
- 17- عطية أحمد القوصي (1394هـ/1975م): "أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجنيزة"، (المجلة التاريخية المصرية، مج22)، ص33.

18- عطية أحمد القوسي (1414هـ/1993م): "الجديد في وثائق الجنيزة الجديدة"، (مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد: 10، يناير)، ص 179 وما بعدها.

• المراجع الأجنبية:

- 19-Abraham David (1999): "**The Involvement of the Later Nagids of Egypt in the Affairs of the Jewish Community in Eretz-Israel**" : in Mordechai Akiva Friedman, ed., A Century of Geniza Research [=Teudah, vol. 15] (Tel-Aviv: Tel-Aviv University,).
- 20-Alexandra Cuffel (2020): "**Conversion and Religious Polemic between Jews and Christians in Egypt from Fatimid-Mamluk periods**", (Minorities in Contact in the Medieval Mediterranean, ed. Clara Almagro Vidal, Jessica Tearney-Pearce, Luke Yarbrough (Turnhout: Brepols).
- 21-Audrey Dridi (2015): "**Christian and Jewish communities in the Fustāṭ area: non-Muslim topography and legal controversies in the Pre-Fatimid period**", (dans Minorities: legal, cultural and Economic perspectives, éd: R. HOYLAND, Darwin Press, Princeton).
- 22-Geoffrey Khan (1986): "**A Copy of a Decree from the Archives of the Fāṭimid Chancery in Egypt**", (Bulletin of the School of Oriental and African Studies, Vol. 49, NO. 3).
- 23-Geoffrey Khan (2008): "**Remarks on the Historical Background and Development of the Early Arabic Documentary Formulae**", (Asiatische Studien, Études Asiatiques, NO. 623).
- 24-Geoffrey Khan (1997): "**The Arabic Dialect of the Karaite Jews of Hit**", (Zeitschrift für Arabische Linguistik, NO. 34).
- 25-Jacob Chereskin (2016): "**Heretics of the Dhimmi: Sectarianism, Karaite Jews and the Fatimid Caliphate**", (Formation of Islam, October).
- 26-Jacob Mann (1920): "**The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid caliphs: a contribution to their political and communal history based chiefly on genizah material hitherto unpublished**, oxford university press, Humphrey milford, Oxford, V I.
- 27-Marina Rustow - Eve Krakowski (2014): "**Formula as Content: Medieval Jewish Institutions, the Cairo Geniza, and the New Diplomats**", (Jewish Social Studies, Indiana University Press, Vol. 20, NO. 2, Winter).
- 28-Mark Cohen (1980): "**Jewish Self-government in Medieval Egypt: The Origins of the Office of the Head of the Jews, ca. 1065-1126**", (Princeton Studies on the Near East, Princeton University Press).
- 29-Mark R. Cohen (1979): "**On the Origins of the Office of Head of the Jews in the Fatimid Empire**", (AJS Review, Vol. 4).
- 30-Miriam Frenkel - Moshe Yagur (2019): "**Jewish Communal History in Geniza Scholarship**", (Part 1, From Early Beginnings to Goitein's Magnum Opus, Jewish History, NO. 32).
- 31-Oded Zinger (2014): "**Women, Gender and Law: Marital Disputes According to Documents of the Cairo Geniza**", THE DEPARTMENT OF NEAR EASTERN STUDIES.
- 32-S. D. Goitein (1971): "**Side lights on Jewish education from the Cairo Geniza**", (Gratz College Anniversary).
- 33-S.D. Goitein (1960): "**Geniza Papers of a Documentary Character in the Gaster Collection of the British Museum**", (Jewish Quarterly Review, vol. 51, no. 1, July).
- 34-S.D. Goitein (1960): "**The documents of the Cairo Geniza as a source for Mediterranean social history**", (Journal of the American oriental society, University of Pennsylvania Press, VOL. 80, NO. 2, April-January).
- 35-S.D. Goitein (1955): "**Jews and Arabs, their contact through the ages**, New York.
- 36-S.D. Goitein (1967): "**Studies In Islamic History and Institutions**, Leiden.
- 37-S.D.Goitein (1983): "**Mediterranean Society: The Jewish Communities of the World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza**, University of California Press, First Printing.
- 38-Sarah Stroumsa (2001): "**Saadia Gaon A Jewish Thinker in a Mediterranean Society**", Mordechai A. Friedman, ed., (Jewish Culture in Muslim Lands and Cairo Geniza Studies, Tel-Aviv Tel-Aviv University).